Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (10) Issue (1) 31 July (2026)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

الاسترجاع والاستباق في رواية "زقاق المدق" لنجيب محفوظ: دراسة في التشكيل الزمني

أحمد إبراهيم عثمان
مديرية تربية البصرة / الإعدادية المركزية للبنين
محمد وليد حرحوش خضير
جامعة الفلوجة / كلية التربية

Analepsis and Prolepsis in Naguib Mahfouz's Midaq Alley: A Study of Temporal Construction

Ahmed Ibrahim Othman
Basra Directorate of Education / Al-Markaziyah Secondary School for Boys
Email: ahm24h2001@uoanbar.edu.iq
Mohammed Waleed Harhoush Khudair
University of Fallujah / College of Education
Email: Mohammedzou89@gmail.com

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة تقنيتي الاسترجاع والاستباق في رواية "زقاق المدق" للروائي المصري نجيب محفوظ والكشف عن دورهما في تشكيل البنية الزمنية للخطاب السردي انطلاقاً من أن الزمن يمثل أحد أهم العناصر البنائية في الرواية الحديثة إذ يسهم في تنظيم الأحداث وبناء الشخصيات وإنتاج الدلالات الفنية، واعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي مستنداً إلى مفاهيم السرديات الحديثة ولا سيما نظرية علم السرد لجيرار جينيت في المفارقات الزمنية لتحليل أنماط الاسترجاع والاستباق ووظائفهما داخل الرواية.وتوصلت الدراسة إلى أن نجيب محفوظ لم يلتزم بالتسلسل الزمني الخطي للأحداث وإنما اعتمد على توظيف الاسترجاع للكشف عن الماضي الاجتماعي والنفسي للشخصيات وربط حاضرها بخبراتها السابقة، في حين وظّف الاستباق في التمهيد لبعض الأحداث والإيحاء بمصائر الشخصيات مما أسهم في بناء التشويق وتعميق الرؤية السردية وتحقيق التماسك البنائي للنص كما أظهرت الدراسة أن المفارقات الزمنية في الرواية لم تكن مجرد وسائل لتنظيم الزمن بل شكلت أدوات فنية أساسية في بناء الدلالة والكشف عن التحولات النفسية والاجتماعية للشخصيات.

الكلمات المفتاحية: الزمن السردي، التشكيل الزمني، الاسترجاع، الاستباق، نجيب محفوظ، زقاق المدق.

Abstract

This study examines the techniques of "Analepsis" (flashback) and "Prolepsis" (anticipation) in the novel Midaq Alley by the renowned Egyptian novelist Naguib Mahfouz. It explores their role in shaping the temporal structure of the narrative discourse, based on the premise that time represents a fundamental structural component in the modern novel that contributes to organizing events, developing characters, and generating profound artistic meanings. The research adopts a descriptive-analytical approach, drawing upon modern narratological concepts, specifically Gérard Genette's theory of temporal anachronies, to analyze the patterns and functions of flashbacks and anticipations within the novel.The study concludes that Naguib Mahfouz does not adhere to a linear chronological sequence of events; instead, he skillfully employs analepsis to unveil the social and psychological backgrounds of the characters, effectively linking their past with the present. Concurrently, he utilizes prolepsis to pave the way for upcoming events and hint at the characters' ultimate fates, thereby building suspense,

deepening the narrative vision, and achieving structural coherence. Furthermore, the analysis reveals that temporal anachronies in Midaq Alley are not mere technical devices for managing time, but rather crucial artistic tools that construct meaning and reflect the intense psychological and social transformations of the characters within the alley.**Keywords:** Narrative Time, Temporal Construction, Analepsis, Prolepsis, Naguib Mahfouz, Midaq Alley.

المقدمة

يُعدُّ الزمن من العناصر البنائية الرئيسة في العمل الروائي فهو العنصر الوظيفي الذي يمتلكه الروائي ومن خلاله ينظم المكان والشخصيات والأحداث ويصوغ رؤيته الفنية في إطار سردي متماسك سواء استند في ذلك إلى محاكاة الواقع أو إلى الخيال الفني وتنبع أهمية الزمن في الرواية من جملة أسباب من أبرزها أنه يمثل المحور الذي تنتظم في ضوئه عناصر التشويق كما تتحدد من خلاله العلاقات السببية وتعاقب الأحداث وآلية اختيارها داخل البناء السردي(١).وقد تجلت أهمية الزمن في مختلف الفنون إذ لم يعد مجرد إطار زمني للأحداث بل أصبح عنصراً جمالياً يسهم في تشكيل العمل الفني وهو ما يظهر في مختلف الأجناس الأدبية والفنية إذ تتباين طرائق توظيفه تبعاً لطبيعة كل فن وأدواته التعبيرية(٢).وترتبط طبيعة الرواية ارتباطاً وثيقاً بطريقة معالجة الزمن داخلها إذ إن الشكل الفني للرواية يتحدد إلى حدٍّ كبير وفق الكيفية التي يعالج بها الروائي العنصر الزمني الأمر الذي جعل لكل اتجاه أدبي تقنياته الخاصة في تنظيم الزمن وعرض الأحداث(٣).ولا يمتلك الزمن وجوداً مستقلاً داخل النص الروائي يمكن فصله عن بقية مكوناته كما هو الحال بالنسبة إلى الشخصيات أو المكان أو مظاهر الطبيعة وإنما يتداخل مع جميع عناصر البناء السردي ويشكّل الإطار الذي تُبنى عليه الرواية ولذلك فإن دراسته لا تكون دراسة جزئية أو منفصلة وإنما تتم في ضوء علاقته العضوية ببنية النص السردي بأكملها(٤).وقد أشار عبد الملك مرتاض إلى هذه الحقيقة حين يرى أن الزمن يبدو في ظاهره خيوطاً متناثرة لا تحمل معنى غير أنه يغدو عنصراً منتجاً للدلالة متى ما انتظم داخل البناء الروائي إذ يتحول إلى أداة إبداعية تسهم في خلق العالم الفني للنص وإنتاج معانيه(٥).وانطلاقاً من هذه الرؤية يتناول هذا البحث دراسة تقنيات التشكيل الزمني في رواية "زقاق المدق" لنجيب محفوظ للكشف عن أبرز التقنيات الزمنية التي اعتمدها في بناء خطابه السردي ولا سيما المفارقات الزمنية كالاسترجاع بنوعيه الخارجي والداخلي والاستباق بنوعيه الخارجي والداخلي مع بيان وظائفها الفنية وأثرها في بناء الحدث وتشكيل الشخصيات المحفوظية وتعزيز التماسك البنائي للنص الروائي.

أولاً: أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من تناوله رواية «زقاق المدق» للروائي نجيب محفوظ التي تُعدّ من أبرز الروايات العربية الحديثة لما تمثله من قيمة فنية وسردية، ولما تنطوي عليه من بناء زمني متنوع أسهم في تشكيل أحداثها وشخصياتها وإثراء دلالاتها وقد أولى نجيب محفوظ الزمن عناية خاصة فلم يقتصر على عرضه بوصفه إطاراً لتتابع الوقائع بل جعله عنصراً بنائياً فاعلاً في تنظيم الخطاب السردي وإبراز التحولات النفسية والاجتماعية للشخصيات التي تتحرك داخل هذا الفضاء الضيق (الزقاق) الذي يرمز للمجتمع في مرحلة تاريخية حرجة.وتتجلى أهمية البحث كذلك في الكشف عن آليات التشكيل الزمني في الرواية من خلال دراسة تقنيتي الاسترجاع والاستباق وتحليل أنماط توظيفهما ووظائفهما الفنية وبيان أثرهما في بناء الحدث الروائي وتعميق أبعاد الشخصيات (مثل حميدة، وعباس الحلو، والمعلم كرشة، وسواهم) وتحقيق التماسك البنائي للنص. كما يسعى البحث إلى الإفادة من منجزات السرديات الحديثة ولا سيما نظرية جيرار جنيت في المفارقات الزمنية في تقديم قراءة نقدية تسهم في إثراء الدراسات السردية وتوسيع مجال البحث في تقنيات الزمن في الرواية العربية.

ثانياً: مشكلة البحث وتساؤلاته

تنطلق مشكلة البحث من محاولة الكشف عن الكيفية التي وظّف بها نجيب محفوظ تقنيتي الاسترجاع والاستباق في رواية «زقاق المدق» ومدى إسهامهما في تشكيل البنية الزمنية للخطاب السردي وبناء دلالاته الفنية، فعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت رواية زقاق المدق من جوانب اجتماعية وواقعية وفنية فإن الدراسات التي أفردت تقنيتي الاسترجاع والاستباق بوصفهما آليتين مركزيتين في التشكيل الزمني في ضوء مفاهيم السرديات الحديثة ما تزال بحاجة إلى مزيد من التدقيق والتحليل الأمر الذي يبرز الحاجة إلى دراسة متخصصة تكشف عن وظائف هاتين التقنيتين وأثرهما في بناء الرواية.وانطلاقاً من ذلك يسعى البحث إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١. ما أبرز مظاهر الاسترجاع والاستباق في رواية «زقاق المدق»؟

٢. كيف أسهمت تقنيتا الاسترجاع والاستباق في تشكيل البنية الزمنية للخطاب السردي في الرواية؟

٣. ما الوظائف الفنية والدلالية التي أدتهما هاتان التقنيتان في بناء الأحداث وتشكيل الشخصيات؟

٤. إلى أي مدى أسهم توظيف الاسترجاع والاستباق في تحقيق التماسك البنائي وتعزيز البعد الجمالي والدلالي للرواية؟

ثالثاً: منهج البحث

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي لكونه من أكثر المناهج ملاءمةً للدراسات السردية إذ يقوم على وصف الظواهر الفنية وتحليلها في ضوء المفاهيم النقدية الحديثة والكشف عن وظائفها داخل النص الأدبي واستند البحث إلى تحليل تقنيتي الاسترجاع والاستباق في رواية "زقاق المدق" من خلال الإفادة من مفاهيم السرديات الحديثة ولا سيما نظرية جيرار جنيت في المفارقات الزمنية للكشف عن أنماط توظيف هاتين التقنيتين وبيان أثرهما في تنظيم الزمن السردي وبناء الحدث وتشكيل الشخصيات وإنتاج الدلالات الفنية داخل الرواية.

رابعاً: هيكل البحث

اقتضت طبيعة البحث أن ينتظم في مقدمة وتمهيد ومبحثين رئيسين أعقبتهما خاتمة تضمنت أبرز النتائج التي توصل إليها البحث خُصص التمهيد لبيان مفهوم الزمن لغةً واصطلاحاً وعرض مفهوم المفارقات الزمنية بوصفها الإطار النظري الذي تندرج ضمنه تقنيتا الاسترجاع والاستباق مع بيان أهميتهما في تشكيل البنية الزمنية للخطاب السردي.أما المبحث الأول فقد تناول تقنية الاسترجاع من خلال دراسة مفهومها وأنواعها ثم تحليل نماذج تطبيقية للاسترجاع الخارجي والاسترجاع الداخلي في رواية «زقاق المدق» مع بيان وظائفهما الفنية وأثرهما في بناء الشخصيات والأحداث.وخُصص المبحث الثاني لدراسة تقنية الاستباق إذ تناول مفهومها وأنواعها ثم تحليل نماذج تطبيقية للاستباق الخارجي والاستباق الداخلي في الرواية للكشف عن دورهما في استشراف الأحداث وبناء التشويق وتعميق الرؤية السردية.واختُتم البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي أسفر عنها التحليل تلتها قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث..

التمهيد: الزمن والمفارقات الزمنية

اولاً: مفهوم الزمن

أ. الزمن لغةً:

ورد لفظ الزمن في المعاجم العربية للدلالة على مدة من الدهر فيقال: الزمن والزمان بمعنى الوقت ويطلق على القليل والكثير منه وجمعه أزمنة وأزمان[٦] كما استعملت العرب لفظ الزمن للدلالة على مدة محددة من الوقت فقد يطلق على شهرين إلى ستة أشهر في حين يطلق الدهر على الزمن الممتد الذي لا ينقطع[٧]وجاء في لسان العرب أن الزمن والزمان اسمان يدلان على الوقت ويطلقان على القليل والكثير منه وجمعهما أزمنة وأزمان ويُراد بهما مدة من الدهر أو وقت من الأوقات ويتحدد معناهما بحسب السياق الذي يردان فيه[٨]وتكشف هذه الدلالات اللغوية عن اتساع مفهوم الزمن في الاستعمال العربي إذ لا يقتصر على مدة زمنية محددة وإنما يشمل مختلف الامتدادات الزمنية بحسب السياق الذي يرد فيه.

ب. الزمن اصطلاحاً:

يُعد الزمن أحد المكونات الأساسية في البنية السردية فلا يمكن تصور وجود خطاب روائي يخلو من البعد الزمني لأن الأحداث لا تتحقق إلا ضمن إطار زمني يحدد تسلسلها وترابطها ويمنحها بعدها الدلالي داخل النص ومن ثم فإن الزمن يمثل أحد المرتكزات الرئيسة للتجربة الإنسانية ولا يمكن إدراكه بمعزل عن الظواهر والأحداث التي يقترن بها إذ تتحدد قيمته من خلال علاقته بما يقع في الواقع أو في العالم المتخيل الذي تبنيه الرواية[٩] يرى سعيد يقطين أن الزمن يمثل أحد المكونات الأساسية في الخطاب الروائي ولا يُنظر إليه بوصفه مجرد إطار تجري فيه الأحداث وإنما باعتباره عنصراً بنائياً يسهم في تنظيم العلاقات بين مكونات النص السردي ويحدد الكيفية التي تُعرض بها الوقائع داخل الخطاب من خلال التفاعل بين زمن الحكاية وزمن السرد الأمر الذي يجعل الزمن أداة فنية لإنتاج الدلالة وبناء الرؤية السردية[١٠].وقد حظي الزمن باهتمام بالغ في الدراسات السردية الحديثة ولا سيما بعد التحولات التي شهدها النقد البنيوي إذ أصبح من أهم المحاور التي انطلقت منها الدراسات السردية في تحليل النصوص الروائية بوصفه عنصراً فاعلاً في بناء الخطاب السردي وليس مجرد إطار خارجي للأحداث[١١]ولذلك لم يعد الروائي ملزماً بالتتابع الزمني التقليدي بل أصبح قادراً على الانتقال بين الماضي والحاضر والمستقبل واستحضار الذكريات أو استشراف الأحداث المقبلة بما يحقق أغراضاً فنية متعددة منها تفسير دوافع الشخصيات وتعميق البناء النفسي وإثارة التشويق وإضفاء الحيوية على السرد ومن هنا أصبحت دراسة الزمن في الرواية لا تقتصر على تتبع تعاقب الأحداث وإنما تمتد إلى تحليل الكيفية التي يعاد بها تشكيل الزمن داخل الخطاب السردي والعلاقات التي تنشأ بين زمن الحكاية وزمن السرد.ويكتسب الزمن في رواية «زقاق المدق» أهمية خاصة إذ لم يعتمد نجيب محفوظ على التسلسل الزمني الخطي وحده بل أعاد تنظيم حركة السرد من خلال الانتقال بين الأزمنة المختلفة فجاء الزمن عنصراً فاعلاً في الكشف عن الماضي الاجتماعي والنفسي للشخصيات والتمهيد لتحولاتها المستقبلية وهو ما منح الرواية بعداً فنياً يتجاوز مجرد تسجيل الأحداث إلى بناء رؤية سردية متماسكة.

ثانياً: المفارقات الزمنية

تُعدُّ المفارقات الزمنية من أبرز التقنيات السردية التي اعتمدتها الرواية الحديثة في إعادة تشكيل الزمن الروائي إذ تقوم على الخروج عن التسلسل الزمني الطبيعي للأحداث من خلال تقديم بعض الوقائع أو تأخيرها وفق رؤية فنية يفرضها البناء السردي وبذلك لا يبقى الزمن خاضعاً للتتابع الواقعي وإنما يصبح عنصراً فنياً يتشكل تبعاً لمقتضيات السرد[١٢].ويُقصد بالمفارقة الزمنية عدم التطابق بين ترتيب الأحداث في الحكاية وترتيبها في الخطاب السردي إذ إن تسلسل الوقائع كما حدثت في عالم الحكاية يختلف عن الطريقة التي يعرضها بها الراوي داخل النص ويتحدد هذا الاختلاف من خلال العلامات الزمنية التي يتضمنها الخطاب السردي سواء أكانت صريحة أم ضمنية الأمر الذي يجعل زمن الخطاب يسير في خط واحد في حين يتسم زمن الحكاية بالتعدد والتشابك نتيجة الانتقال المستمر بين الماضي والحاضر والمستقبل[١٣]ولا تُعد المفارقات الزمنية من الظواهر المستحدثة في الفن الروائي وإنما تمثل إحدى السمات التي صاحبت السرد الأدبي منذ مراحله الأولى غير أن الرواية الحديثة منحتها بعداً فنياً أكثر تعقيداً وجعلتها إحدى الركائز الأساسية في بناء النص لما تؤديه من دور في تنظيم الأحداث وتعميق البناء الدلالي وتحقيق التشويق وإبراز الأبعاد النفسية للشخصيات[١٤]وتتنوع المفارقات الزمنية بحسب طبيعة انتقالها بين الأزمنة فقد تكون مفارقات موضوعية تتصل بالأحداث الواقعية داخل الحكاية وقد تكون مفارقات ذاتية ناتجة عن استحضار الشخصيات لذكرياتها الماضية أو استشرافها لما قد يحدث مستقبلاً كما قد تتخذ شكل المفارقة التكرارية التي تقوم على إعادة سرد أحداث سبق عرضها من منظور جديد أو في سياق مختلف بما يحقق وظائف سردية ودلالية متعددة[١٥]وتنقسم المفارقات الزمنية عند جنيت إلى نوعين رئيسين هما: الاسترجاع الذي يقوم على العودة إلى أحداث ماضية بالنسبة إلى الزمن الحاضر للحكاية والاستباق الذي يعتمد على تقديم أحداث مستقبلية قبل زمن وقوعها داخل الرواية ويؤدي كل منهما وظائف فنية ودلالية تسهم في تشكيل البناء الزمني وتعزيز فاعلية الخطاب السردي[١٦]وانطلاقاً من هذا التصور تتجلى المفارقات الزمنية في رواية «زقاق المدق» من خلال توظيف نجيب محفوظ لتقنيتي الاسترجاع والاستباق إذ استعان بالاسترجاع للكشف عن الماضي الاجتماعي والنفسي للشخصيات كما وظّف الاستباق للتمهيد لبعض الأحداث واستشراف مصائر الشخصيات الأمر الذي أسهم في بناء خطاب سردي متماسك وجعل الزمن عنصراً فاعلاً في إنتاج الدلالة لا مجرد إطار لتعاقب الوقائع.

المبحث الأول: تقنية الاسترجاع في رواية لزقاق المدق

تُعدُّ تقنية الاسترجاع (Analepsis) من أكثر التقنيات الزمنية حضوراً في الخطاب الروائي عند نجيب محفوظ إذ تقوم على العودة بالأحداث إلى الماضي بعد أن يكون السرد قد تقدم نحو الحاضر وبذلك تُكسر خطية الزمن من خلال استحضار وقائع سابقة تسهم في استكمال البناء السردي وتفسير ما يجري من أحداث ويُقصد بالاسترجاع سرد أحداث ماضية انقطعت عنها حركة السرد مؤقتاً ليعود الراوي إلى استحضارها وربطها بالزمن الحاضر وبذلك يؤدي الاسترجاع وظيفة تفسيرية تكشف الخلفيات الزمنية للشخصيات والأحداث.[١٧]ويُقصد بالاسترجاع كذلك سرد أحداث ماضية انقطعت عنها حركة السرد مؤقتاً ليعود الراوي إلى استحضارها وربطها بالزمن الحاضر وبذلك يؤدي الاسترجاع وظيفة تفسيرية تكشف الخلفيات الزمنية للشخصيات والأحداث وتسهم في بناء العلاقات بين الماضي والحاضر داخل النص الروائي[١٨]ويرى جيرار جنيت أن كل استرجاع يُنشئ حكاية زمنية ثانية داخل الحكاية الأصلية لأن الراوي ينتقل من زمن السرد الأساسي إلى زمن سابق عليه ثم يعود مرة أخرى إلى استئناف مجرى الأحداث وهو ما يجعل البناء الزمني أكثر مرونة ويمنح الرواية قدرة على تجاوز التسلسل الزمني التقليدي[١٩]ويؤكد عدد من الدارسين أن الاسترجاع يمثل تقنية زمنية يتوقف فيها الراوي عن متابعة الحاضر السردي ليعود إلى استحضار أحداث أو شخصيات أو مواقف وقعت قبل زمن السرد سواء أكانت تلك الأحداث سابقة لبداية الرواية أم لاحقة لها بما يحقق التكامل في بناء العالم الروائي ويمنح المتلقي تصوراً أكثر شمولاً لمسار الشخصيات والأحداث[٢٠]ويؤدي الاسترجاع مجموعة من الوظائف الفنية داخل النص الروائي من أهمها سدُّ الفراغات التي يتركها السرد والكشف عن ماضي الشخصيات وخلفياتها وإيضاح الأحداث التي أغفلها الراوي في مراحل سابقة فضلاً عن إعادة تفسير بعض الوقائع في ضوء معطيات جديدة قد تغيّر دلالتها أو تضفي عليها معاني مختلفة. كما يسهم في تحقيق الترابط بين أجزاء الرواية ويعزز من تماسكها البنائي ويمنح المتلقي فرصة لفهم العلاقات الزمنية التي تربط بين أحداثها[٢١]ومن ثم فإن الاسترجاع لا يمثل مجرد عودة إلى الماضي وإنما يعد وسيلة فنية لإعادة بناء الحكاية وإثراء الخطاب السردي وربط الأزمنة المختلفة في إطار بنائي متماسك بما يجعل الماضي عنصراً فاعلاً في تفسير الحاضر واستشراف مسار الأحداث اللاحقة.واعتماداً على طبيعة العلاقة بين زمن الاسترجاع وزمن الحكاية يقسم النقاد الاسترجاع إلى نوعين رئيسين هما: الاسترجاع الخارجي والاسترجاع الداخلي وكلاهما يؤدي وظيفة سردية مختلفة تبعاً لموقعه من زمن الحكاية وهو ما يظهر بوضوح في رواية "زقاق المدق" لنجيب محفوظ التي اعتمدت هذين النمطين بصورة متكررة وعميقة في بناء أحداثها وتشكيل شخصياتها المأزومة.

اولاً: الاسترجاع الخارجي

قصد بالاسترجاع الخارجي العودة إلى أحداث وقعت قبل بداية الزمن الذي تنطلق منه الحكاية إذ يستدعي الراوي وقائع تنتمي إلى ماضٍ سابق للأحداث الرئيسة بقصد الكشف عن خلفيات الشخصيات أو تفسير سلوكها أو توضيح الظروف التي أسهمت في تشكيلها ويؤدي هذا النوع من الاسترجاع دوراً مهماً في سد الفراغات الزمنية وربط الماضي بالحاضر بما يعزز تماسك البناء السردي ويمنح المتلقي فهماً أعمق للعلاقات التي تحكم مجريات الرواية[٢٢]وقد وظّف نجيب محفوظ هذه التقنية في روايته بصورة واضحة فجعل الماضي منطلقاً لتفسير الحاضر والكشف عن الأبعاد النفسية والاجتماعية للشخصيات، ففي شخصية "الشيخ درويش" يسترجع الراوي محطات من حياته الغابرة التي سبقت زمن الرواية إذ كان مدرساً محترماً للغة الإنجليزية بوزارة الأوقاف مستقراً في معيشته وأسرته قبل أن يعصف به زمن التحولات وتُلغى المحاكم الشرعية وتتدهور أحواله المادية والنفسية فيهيم على وجهه درويشاً تائهاً في ملكوت الزقاق ولا يرد هذا الاسترجاع بوصفه رصداً تسجيلياً للماضي فحسب وإنما يؤدي وظيفة تفسيرية تكشف الأساس النفسي والاجتماعي الذي انطلقت منه الشخصية في هوسها الحالي، وهو ما يمنح المتلقي تصوراً متكاملاً عن تكوينها الإنساني دون أن يؤدي ذلك إلى تعطيل مسار السرد أو الإخلال بوحدة الأحداث[٢٣]ويتكرر هذا النمط بوضوح حاد في سيرة شخصية "زيطة الكياد" إذ يستحضر الراوي طفولته البائسة وما رافقها من حرمان وقسوة أسرية بالغة إذ ولد لأبوين من الشحاذين المحترفين الذين مارسوا ضده ألوان التجويع والتنكيل ليدفعوا به إلى باحات التسول، فتتحول تلك الذكريات المستعادة إلى وسيلة حتمية لتفسير تشوهه السلوكي واضطرابه النفسي الأسود في حاضر الرواية إذ يقطن دكاناً ملحقاً بالمقابر ليصنع العاهات المصطنعة للمتسولين ولا يقتصر الاسترجاع هنا على استحضار الماضي بل يكشف عن العلاقة الوثيقة بين التجربة الطفولية والسلوك اللاحق للشخصية بما يؤكد أن معاناة الحاضر وشرورها ليست منفصلة عن جذورها الماضية ومن ثم فإن الاسترجاع الخارجي يؤدي وظيفة نفسية إلى جانب وظيفته الزمنية لأنه يفسر دوافع الشخصية ويكشف أسباب ما تعانيه من حقد وانكسار وسوداوية[٢٤].ويؤكد الباحثون في مجال التربية وعلم النفس أن الحرمان العاطفي والمادي في مرحلة الطفولة يترك آثاراً عميقة غير قابلة للمحو في تكوين الشخصية الإنسانية وهو ما ينسجم تماماً مع البناء النفسي المشوه الذي قدمه الروائي لشخصية زيطة[٢٥]ولا يقتصر توظيف الاسترجاع الخارجي في الرواية على استحضار مشاهد المعاناة الإنسانية الفردية بل يمتد إلى استعادة الصور التاريخية لطبيعة الفتوة والبلطجة داخل المجتمع القاهري القديم إذ يسترجع الراوي تفاصيل ماضي "المعلم كرشة" صاحب المقهى مستعيداً فترات شبابه الأولى ومغامراته في عالم "الفتونة" وفرض السيطرة وانخراطه المبكر في غياهب المخدرات والنزوات والبلطجة. يمنح هذا الاسترجاع الشخصية مساحة من الحضور التاريخي ويخلق في الوقت نفسه مفارقة واضحة بين القوة العضلية السابقة وتعويضها الحالي في زمن الرواية بممارسة الشذوذ والنزوات السريّة والعلنية داخل حدود المقهى والزقاق وبذلك يصبح الماضي الفردي والاجتماعي عنصراً فاعلاً ومحورياً في بناء الدلالة العامة وليس مجرد خلفية زمنية جامدة للأحداث الروائية[٢٦].كذلك نلمس هذا التوظيف للاسترجاع الخارجي عند التعرّف على تاريخ "السيد رضوان الحسينى" قبل اندماج شخصيته في مسار الحكاية العام إذ يستعيد الراوي قصة فقده المتكرر لأبنائه واحداً تلو الآخر وكيف تسببت تلك الفاجعة التاريخية في إحداث هزة روحية كبرى قادته إلى التصوف والرضا والزهد وحب الإنسانية وجبر الخواطر، فكان هذا الاسترجاع مهيئاً للمتلقي لفهم طبيعة سلوكه الروحاني والمقدس وأسباب تحوله إلى ملاذ آمن ومصلح اجتماعي لجميع سكان المجتمع الصغير داخل الزقاق[٢٧].يتضح من النماذج السابقة أن الاسترجاع الخارجي في رواية "زقاق المدق" لنجيب محفوظ لم يكن وسيلة لإطالة السرد أو استحضار أحداث منقطعة الصلة بالحبكة وإنما جاء عنصراً بنائياً أصيلاً أسهم في الكشف عن الخلفيات النفسية والاجتماعية والطبقية للشخصيات وساعد على تفسير دوافعها السلوكية وربط مراحل حياتها المختلفة في إطار زمني متماسك الأمر الذي عزز من وحدة البناء السردي وأغنى دلالاته العميقة.

ثانياً: الاسترجاع الداخلي

يختلف الاسترجاع الداخلي عن الاسترجاع الخارجي في أن عودته الزمنية لا تتجاوز بداية الحكاية وإنما يعود إلى أحداث وقعت بعد انطلاقها، إلا أن الراوي يؤجل سردها إلى موضع لاحق تقتضيه طبيعة البناء الروائي ويهدف هذا النوع من الاسترجاع إلى استكمال المعلومات التي أغفلها السرد في مراحله الأولى أو إلى تفسير مواقف الشخصيات وأفعالها من خلال العودة إلى أحداث سابقة ضمن الإطار الزمني نفسه للحكاية[٢٨] ولذلك يلجأ إليه الروائي لمعالجة الأحداث المتزامنة التي يصعب عرضها في وقت واحد فيؤخر بعضها ثم يستعيدها في موضع آخر بما يحافظ على تماسك البناء السردي وتسلسل الوقائع[٢٩]وقد أفاد نجيب محفوظ من هذه التقنية ببراعة فائقة في بناء شخصياته المحورية والكشف عن أبعادها النفسية المأزومة إذ جاء الاسترجاع الداخلي في "زقاق المدق" مرتبطاً غالباً بحركة الذاكرة العاطفية والتداعي الحر والمونولوجات الداخلية أكثر من ارتباطه بالسرد الخارجي المباشر للأحداث.ويتجلى ذلك بوضوح في شخصية الحلاق "عباس الحلو" الذي بعد أن يغادر فضاء الزقاق مرغماً ويتوجه للعمل في معسكرات الجيش الإنجليزي في "التل الكبير" رغبةً منه في جمع المال السريع للوفاء بمتطلبات خطبته وزواجه من حميدة يتوقف مسار السرد

الحاضر ليرتد عباس عبر ذاكرته مسترجعاً حادثة لقائه الأخير بحميدة وداعاً وتفاصيل الحوار الذي دار بينهما ووعودها المقطوعة له بالوفاء، يعود الراوي إلى استحضار هذا الحدث في لحظة لاحقة من السرد ليكشف للمتلقي التناقض والتحول الذي يطرأ على وعي الشخصية ونظرتها ولا يقتصر دور الاسترجاع هنا على استعادة واقعة ماضية ضمن زمن الرواية بل يسهم في إبراز الصراع الداخلي للشخصية وفداحة الوهم الذي يعيش فيه البطل فهو يقتات عاطفياً على ماضٍ قريب يظنه صادقاً وآمناً في حين يعلم القارئ أن تلك الوعود قد تبخرت في الزقاق بفعل خيانة حميدة وتطلعها لثراء فرج سرور وهو ما يعمق البعد النفسي المأساوي للسرد ويمنح الحدث دلالة تتجاوز زمن وقوعه الفعلي[٣٠]وفي سياق متصل يستدعي التاجر الجشع "سليم علوان" في لحظة مرضه وعجزه المفاجئ الذي قعد به عن الحركة والنطق أحياناً صورته وجبروته وصحته الفائقة التي كان عليها في بداية صفحات الرواية فتتداخل الذكرى القريبة القاسية مع معاناته الراهنة ويصبح الماضي مصدراً للمقارنة والمفارقة الحادة بين شهوة الامتلاك الجارفة (للمال وللنساء كطموحه بالزواج من حميدة) وبين العجز الإنساني المطلق أمام حركة الزمن والجسد ويكشف هذا الاسترجاع الداخلي عن الأثر النفسي المدمر للتجارب السابقة في تشكيل مواقف الشخصية الحالية الأمر الذي يجعل الذاكرة عنصراً فاعلاً في تطور الحدث الروائي لا مجرد وسيلة ميكانيكية لاستعادة الماضي[٣١]أما في مشهد تحول "حميدة" وانتقالها التام إلى عالم القواد "فرج سرور" وتخليها عن الزقاق فيلجأ الراوي إلى الاسترجاع الداخلي من خلال التأمل الذاتي وعملية التذكر الواعي للبطلة إذ تستدعي الشخصية وهي في قصر اللذة والتدريب تفاصيل خطواتها الأولى خارج الزقاق وسلوكها لحظة الهروب مراجعةً في ذهنها كلمات فرج سرور وإغواءاته بالفساتين الفاخرة والذهب التي سال لها لعاب طموحها الجارف ويؤدي هذا الاسترجاع وظيفة فكرية ونفسية عميقة لأنه لا يقتصر على استحضار وقائع الهروب الماضية وإنما يربط بين التجربة الشخصية والرؤية العامة للتحول الطبقي والانسلاخ عن الجذور فيتحول الماضي القريب إلى أداة لتفسير واقع حميدة الجديد وإعادة تقييمه داخلياً ويكشف عن وعيها وقدرتها على مراجعة خبراتها في ضوء ما آلت إليه الأحداث وهو ما يضفي على الخطاب السردي بعداً تأملياً يتجاوز حدود السرد التقليدي الخطّي[٣٢]وتبين النماذج السابقة أن الاسترجاع الداخلي في رواية "زقاق المدق" لنجيب محفوظ لم يقتصر على استكمال التسلسل الزمني للأحداث بل أسهم بفاعلية في تعميق البناء النفسي والفكري للشخصيات وكشف العلاقات الخفية والمعقدة بين الماضي والحاضر فضلاً عن دوره في تنظيم هندسة الحكاية وتوزيع المعلومات السردية بصورة تدريجية وصادمة الأمر الذي عزز من فاعلية الخطاب الروائي وأكسبه قدراً أكبر من التماسك والجمالية والنضج الفني.

المبحث الثاني: تقنية الاستباق في رواية للزقاق المدق لله

تُعدُّ تقنية الاستباق من أبرز التقنيات الزمنية التي تعتمدها الرواية الحديثة في إعادة تشكيل الزمن السردي إذ تقوم على الانتقال من الحاضر إلى المستقبل من خلال الإشارة إلى أحداث لم تقع بعد ضمن زمن الحكاية لكنها ترد في الخطاب السردي قبل زمن تحققها الفعلي وبهذا تؤدي وظيفة معاكسة لتقنية الاسترجاع التي تستدعي الماضي في حين يعمل الاستباق على استشراف المستقبل أو التمهيد له بما يسهم في خلق حالة من التشويق وإثارة توقعات المتلقي[٣٣]ويُعرَّف الاستباق بأنه مفارقة زمنية يتجاوز فيها الراوي زمن الحاضر ليقدم إشارات أو توقعات أو تصورات عن أحداث مستقبلية يحتمل وقوعها لاحقاً في مسار الرواية ويأتي هذا التقديم في صورة تلميحات أو نبوءات أو تصورات ذهنية تمهد للحدث قبل وقوعه وتمنح المتلقي فرصة لبناء توقعاته حول مسار الحكاية مع بقاء تحقق تلك التوقعات أو عدم تحققها رهيناً بتطور الأحداث[٣٤]وقد ذهب بعض النقاد إلى أن الاستباق يتمثل في مخالفة الترتيب الزمني للأحداث عن طريق ذكر واقعة لم يحن وقتها بعد في زمن الحكاية الأمر الذي يجعل الراوي يسبق مجرى السرد الطبيعي ويكشف جانباً من المستقبل قبل أن يتحول إلى حاضر مشهود داخل الرواية[٣٥]ويعد هذا النوع من المفارقة الزمنية الوجه المقابل للاسترجاع إذ يقوم كلاهما على كسر خطية الزمن غير أن أحدهما يتجه نحو الماضي بينما يتجه الآخر نحو المستقبل فيسهمان معاً في بناء الزمن الروائي بوصفه زمناً فنياً لا يخضع للتتابع الواقعي أو الآلي للأحداث[٣٦]ويشير جيرار جنيت إلى أن الاستباق يكثر حضوره في الروايات ذات التنظيم السردي العليم أو التي تُروى بضمير المتكلم لأن الراوي يكون على علم مسبق بالنهاية التي آلت إليها مصائر الأحداث مما يتيح له الإشارة إلى بعض الوقائع المستقبلية أو التلميح إليها دون أن يخل ذلك بمنطق الحكاية أو تماسكها الداخلي ومن ثم فإن الاستباق لا يقتصر على مجرد الإخبار الجاف بالمستقبل بل يؤدي وظائف فنية تتصل ببناء التشويق وإدارة إيقاع السرد وتوجيه انتباه القارئ نحو أحداث مأساوية أو تحولات حاسمة سيكشف عنها النص في مراحل لاحقة[٣٧]وانطلاقاً من طبيعة العلاقة بين زمن الاستباق والزمن العام للحكاية يقسم النقاد هذه التقنية إلى نوعين رئيسين هما: الاستباق الخارجي والاستباق الداخلي ويختلف كل منهما في موقعه الزمني ووظيفته السردية وهو ما يتضح بجلاء من خلال النماذج التطبيقية الكثيفة في رواية "زقاق المدق" لنجيب محفوظ.

أولاً: الاستباق الخارجي

يُقصد بالاستباق الخارجي ذلك الاستباق الذي يتجاوز حدود الزمن الراهن للحكاية ليتجه نحو أحداث تقع خارج الإطار الزمني الذي تدور فيه الوقائع الأساسية للرواية (أي ما بعد نقطة نهاية متن الرواية). ويؤدي غالباً وظيفة استشرافية بعيدة أو ختامية إذ يمهد الراوي منذ وقت مبكر لما ستؤول إليه الشخصيات أو الأحداث في حيواتهم المستقبلية الممتدة فيمنح المتلقي تصوراً أولياً عن المستقبل وثير في الوقت نفسه فضوله لمعرفة كيفية تحقق تلك التوقعات والمصائر الحتمية داخل البناء الروائي(٣٨).وقد أفاد نجيب محفوظ من هذه التقنية في بناء التوتر الدرامي وتعميق النزعة القدرية أو الحتمية الاجتماعية في "زقاق المدق" إذ لم يكن الاستباق عنده مجرد إخبار آلي بالمستقبل وإنما جاء معبراً عن الهواجس النفسية العميقة التي تعيشها الشخصيات وما يسيطر عليها من خوف أو قلق أو طموح مدمر فأصبح المستقبل انعكاساً للحالة الشعورية والصراع الداخلي أكثر من كونه حدثاً منبتّ الصلة.ففي سياق تطلعات شخصية "حميدة" الحانقة على فقر الزقاق يرد الاستباق الخارجي من خلال حديث الشخصية مع نفسها (المونولوج الداخلي) أو عبر حواراتها الحادة مع أمها وهي تتخيل اللقاءات والفرص التي قد تحدث مستقبلاً خارج أسوار الزقاق إذ تستحضر في وعيها صوراً ذهنية يغلب عليها الجشع المادي والرغبة العارمة في الانتقام من واقعها الطبقي وتبني احتمالات متعددة لما يمكن أن يقع عند خروجها إلى العالم الفسيح ولا يقدم الراوي هنا حدثاً وقع بالفعل في زمن الرواية الحالي وإنما يصور تصوراً نفسياً واستشرافاً لمستقبل مأساوي من السقوط والانسلاخ لم يتحقق بعد الأمر الذي يجعل الاستباق وسيلة للكشف عن الانفعال الداخلي الطاحن للشخصية ويهيئ القارئ لتطورات كارثية سيشهدها مسار الرواية لاحقاً عند ظهور القواد فرج سرور(٣٩)ويتكرر هذا الأسلوب الفني في تتبع مصير الحلاق "عباس الحلو" إذ يعيش حالة من الصراع النفسي الرهيب قبل اتخاذ قرار مغادرة فضاء الزقاق الآمن والالتحاق بمعسكرات الجيش الإنجليزي في التل الكبير فتتوالى في ذهنه وحواراته الاستباقية تصورات متعددة لما قد يترتب على هذا القرار من ردود أفعال متخيلاً لحظة عودته محملاً بالأموال والذهب ليتزوج من حميدة ويسعد بها في بيتهما الجديد ويكشف هذا الاستباق عن طبيعة الشخصية الطيبة البريئة والساذجة التي تسبق الأحداث بتوقع نتائج وردية متفائلة الأمر الذي يجعل المستقبل متخماً بحضور وهمي في وعي الشخصية قبل أن يتحول إلى واقع سردي دموي صادم ينتهي بمقتله. كما يسهم هذا النوع من الاستباق في تعميق البعد النفسي والمفارقة التراجيدية في الرواية لأنه يعرض الصراع الداخلي والأمل المستقبلي بوصفه جزءاً من حركة الزمن السردي المقبض(٤٠)أما في الجانب الآخر من الزقاق وتحديداً في دكان "زيطة الكياد" وشريكه "الدكتور بو رشي" (صانع العاهات ومقلم الأسنان الذهبية للموتى) فيتخذ الاستباق الخارجي بعداً قدرياً وسوداوياً مختلفاً إذ يتمثل في تخيل "زيطة" الدائم لما قد يواجهه من عقوبات مروعة أو القبض عليه متلبساً بنبش القبور أو تشويه البشر فتتداعى في ذهنه احتمالات الإدانة والسجن والمصير المظلم خلف القضبان وما قد يرافق ذلك من سحق لجسده ونهايته منبوذاً ويؤدي هذا التصور المستقبلي القلق وظيفة نفسية واضحة لأنه يكشف حجم الخوف والذعر الوجودي الذي يسيطر على الشخصية رغم شرها الشديد ويجعل القارئ شريكاً في متابعة ما إذا كانت تلك التوقعات الشائهة ستتحقق أم ستظل مجرد هواجس داخلية ومن ثم فإن الاستباق لا يقتصر على استشراف الحدث وإنما يسهم في رسم العالم النفسي المعقد للشخصية وإبراز هشاشتها العميقة أمام المستقبل المجهول(٤١)وتكشف هذه النماذج أن الاستباق الخارجي في رواية "زقاق المدق" جاء أداة فنية عبقرية لتوليد التشويق الروائي وربط حيوات الحاضر المأزوم بالمستقبل المجهول وتعميق البناء النفسي للشخصيات المحفوظية إذ لم يعتمد الروائي على الكشف المباشر الفج عن مصائر الأحداث المقبلة وإنما جعلها تظهر في صورة احتمالات وتوقعات وهواجس ونبوءات مبثوثة في تضاعف السرد الأمر الذي حافظ على عنصر الإثارة ودفع المتلقي إلى تلهف متابعة تطور الأحداث للكشف عن مدى تحقق تلك التصورات أو إخفاقها التام.

ثانياً: الاستباق الداخلي

يختلف الاستباق الداخلي عن الاستباق الخارجي في أن الأحداث التي يستشرفها الراوي لا تتجاوز النهاية الزمنية للحكاية الروائية وإنما تبقى محصورة ضمن إطارها الزمني العام للرواية إذ يتوقع الراوي أو الشخصية وقوع أحداث مستقبلية ستتحقق فعلياً في صفحات ومراحل لاحقة من السرد من غير أن تخرج عن حدود العالم الروائي الحالي ويؤدي هذا النوع من الاستباق وظيفة تنظيمية وهيكلية بالغة الأهمية لأنه يهيئ المتلقي نفسياً ومعرفياً لاستقبال الأحداث المقبلة الشديدة الوطأة ويمنح السرد قدراً من التماسك الأنيق والترابط الوثيق بين مراحله المختلفة(٤٢)ويشير جيرار جنيت إلى أن الاستباق الداخلي يثير إشكالات فنية دقيقة قريبة من تلك التي يثيرها الاسترجاع الداخلي إذ قد تتداخل الأحداث المتوقعة والمبشَّر بها مع الأحداث الرئيسة والجارية للحكاية الأمر الذي يتطلب من الروائي قدرة فذة على هندسة وتنظيم الزمن السردي بحيث تأتي الإشارات المستقبلية منسجمة مع البناء العام للرواية من غير أن تؤدي إلى الإخلال بتسلسلها المنطقي أو الكشف المبكر الفج عن جميع تفاصيل الحبكة وعنصر المفاجأة فيها(٤٣)وقد وظف نجيب محفوظ هذا النمط من الاستباق الداخلي بوصفه أداة حفر للكشف عن التردد النفسي للشخصيات وإبراز طبيعة الصراع الداخلي الذي يسبق اتخاذ القرارات المصيرية فجاء المستقبل في كثير من الأحيان نتيجةً للتأمل الشره والاحتمال القلق لا بوصفه حقيقة منجزة سلفاً.ويتجلى هذا

بوضوح في حالة التاجر "سليم علوان" الذي يتردد كثيراً ويتحين الفرص للإفصاح عن رغبته الشديدة في التزوج من الفتاة الشابة "حميدة" رغم فارق السن ورغم كونه متزوجاً فتتداعى في ذهنه احتمالات متعددة لما قد تؤول إليه تلك الزيجة إذ يتساءل في رعب داخلي وخيلاء عن رد فعل زوجته الأولى وعن مدى قبول حميدة الطامعة له أو رفضها وما إذا كان هذا الزواج سيعيد إليه شبابه الضائع وقوته الجسدية أم سيجلب عليه الحرج والسخرية من سكان الزقاق ويؤدي هذا الاستباق الداخلي إلى كشف طبيعة الشخصية الجشعة المترددة التي تحاول استباق النتائج والسيطرة على الغد قبل الإقدام على الفعل الأمر الذي يجعل المستقبل المتخيَّل عنصراً مؤثراً في تشكيل القرار الحاضر. كما يسهم في بناء التوتر السردي لأن القارئ يبقى مترقباً بلهفة لما إذا كانت تلك التوقعات الشهوانية ستتحقق أم أن مجرى الأحداث والقدر (متمثلاً في إصابته بالنوبة القلبية المفاجئة) سيسلك اتجاهاً مختلفاً تماماً يطيح بكل أحلامه[٤٤]وفي مشهد موازٍ داخل الرواية يرتبط الاستباق الداخلي بتطلع "عباس الحلو" الدائم وتفكيره المستمر وهو في معسكره بالتل الكبير في ردود أفعال أهل الزقاق وحميدة عند مغادرته المفاجئة ورحيله وكيف سيكون أثر غيابه في حياتهم اليومية، فعندما يقرر إرسال رسائله أو التخطيط لزيارته القصيرة الأولى للزقاق يستحضر في ذهنه ما يمكن أن يحققه هذا القرار من فرحة عارمة متصوراً أن عودته ستكون بداية جديدة تكلل بالزواج الفوري والبهجة وتخرجه من عناء الغربة النفسية والمادية وسط الجنود الأجانب ويكشف هذا الاستباق عن هيمنة البعد النفسي العاطفي على تشكيل الزمن السردي إذ يصبح المستقبل القريب حافزاً كبيراً للشخصية على تجاوز معاناتها اليومية وليس مجرد زمن ميكانيكي لم يقع بعد[٤٥]ويتوافق هذا البناء السردي المحكم تماماً مع ما تشير إليه الدراسات النفسية الحديثة من أن القلق المزمن ينشأ غالباً من الخوف من تقلبات المستقبل أو من توقع أحداث كارثية قد تقع لاحقاً وهو ما ينعكس بوضوح في البناء النفسي المتوتر والمأساوي لشخصية عباس الحلو.أما في رحلة سقوط "حميدة" واختفائها المفاجئ من الزقاق مع فرج سرور فيتمثل الاستباق الداخلي في تفكير أمها بالتبني "أم حميدة" (الخاطبة) وتكهنات سكان الزقاق حول اختفائها الغامض إذ ينشغل الجميع بالتفكير في ردود الأفعال وفي المصير الفاجع الذي ينتظر الفتاة الهاربة وما إذا كان غيابها سيترك وصمة عار لا تُمحى في جدار الزقاق ولا يقتصر هذا الاستباق هنا على تصوير لحظة الفاجعة والبحث بل يكشف بعمق عن طبيعة العلاقات الإنسانية والاجتماعية الصارمة التي تحكم هذا المجتمع الصغير ويجعل القارئ يستشعر ما قد يترتب على هذا الرحيل المشبوه من تغيرات مستقبلية دموية وصراعات ستنفجر حتماً داخل الحكاية عند عودة عباس الحلو ومن ثم فإن الاستباق هنا يؤدي وظيفة وجدانية واجتماعية أخلاقية لأنه يربط المستقبل بالمشاعر والمصائر الإنسانية المتشابكة ويجعل الزمن السردي وسيلة لإبراز العلاقات العاطفية والطبقية المأزومة بين الشخصيات فضلاً عن دوره الهيكلي في تمهيد وتبرير الأحداث اللاحقة العنيفة داخل الرواية[٤٦]وتؤكد النماذج التحليلية السابقة أن الاستباق الداخلي في رواية "زقاق المدق" لنجيب محفوظ لم يكن مجرد وسيلة ميكانيكية للكشف المباشر عن الأحداث المقبلة وإنما جاء أداة بنائية بالغة الأهمية لبناء التوقع الروائي وتعميق الصراع النفسي وتهيئة المتلقي لمسار الحكاية التراجيدي بما يحقق توازناً عبقرياً وفنياً بين المعرفة المسبقة والتشويق السردي ويعزز في الوقت ذاته من تماسك البنية الزمنية الكلية للنص الروائي المحفوظي.

الخاتمة

تبين من خلال هذه الرحلة النقدية أن نجيب محفوظ لم يكن مجرد سارد تقليدي يلتزم بالتتابع الآلي للزمن (الماضي، فالحاضر، فالمستقبل) بل كان مهندساً معمارياً بارعاً استغل مرونة الزمن الروائي لإعادة تشكيل فضاء "الزقاق" وسكانه فتحول الزمن في يده من وعاء خارجي محايد إلى عنصر داخلي فاعل يحرك مصائر الشخصيات ويفسر سلوكياتها الشاذة والمأزومة مما جعل "زقاق المدق" نموذجاً عبقرياً لتقاطع الزمن النفسي بالزمن التاريخي والاجتماعي.

أولاً: النتائج

١. أثبتت الدراسة أن بنيتي الاسترجاع والاستباق في الرواية لم تردا كحيل أسلوبية تزيينية أو لإطالة المتن السردي بل شكلتا ثنائية تبادلية متكاملة إذ عمل الاسترجاع على إضاءة جذور الحاضر وتفسير عقد الشخصيات، في حين تكفل الاستباق ببناء التوتر الدرامي واستشراف المصائر المأساوية الحتمية.

٢. تبيّن أن محفوظ استخدم الاسترجاع الخارجي كأداة حفر "جيولوجي" في تاريخ شخصيات الزقاق الهامشية (مثل الشيخ درويش وزيطة والمعلم كرشة) قبل بداية زمن الرواية الفعلي وذلك لتبرير واقعهم المشوه في الحاضر، مما أكد الرؤية الحتمية الاجتماعية والنفسية التي انطلق منها الروائي.

٣. أظهر التحليل أن الاسترجاع الداخلي ارتبط وثيقاً بحركة الذاكرة والتداعي الحر والمونولوجات العميقة للشخصيات (كعباس الحلو وحميدة) أثناء خروجهم من الفضاء الجغرافي للزقاق، مما حافظ على وحدة النص العاطفية وربط خيوط الحبكة ببعضها رغم تباعد الأمكنة.

٤. كشفت الدراسة أن الاستباق بنوعيه (الخارجي والداخلي) كان المحرك الأساسي لعنصر التشويق وقد تجلى في صورة نبوءات وتوقعات وهواجس نفسية قلقة (كطموح حميدة وأوهام عباس الحلو وجشع سليم علوان) مما خلق فجوة معرفية ومفارقة تراجيدية حادة بين ما تأمله الشخصيات في غدها وبين ما يخبئه لها القدر والواقع من نهاية دموية أو عجز مطلق.

٥. نجح البحث في إثبات أن الزمن عند محفوظ ليس خطاً مستقيماً بل هو بنية دائرية مغلقة تشبه جغرافية "زقاق المدق" نفسه فالشخصيات التي حاولت استباق الغد والانسلاخ عن الفضاء (حميدة وعباس) سُحقت خارج أسواره أو على عتباته، بينما الشخصيات المأزومة بالماضي (الشيخ درويش وزيطة) ظلت حبيسة جدرانه مما جعل الزمن مرآة للفضاء.

ثانياً: التوصيات

١. يوصي البحث بضرورة الالتفات إلى تقنيات زمنية أخرى في ثلاثية وروايات نجيب محفوظ لم تنل حظها الكافي من الدراسة مثل "إيقاع السرد" (الحذف، الخلاصة، المشهد، الوقفة) للوقوف على السرعة الزمنية وكيفية تحكم الروائي في تدفق المعلومات.

٢. يوصي الباحث بفتح آفاق دراسية جديدة تجمع بين بنية الزمن وبنية المكان (وفق منظور باختين للكرونوتوب) في أدب محفوظ لبحث كيف تساهم التحولات المكانية (كالانتقال من الحارة إلى المعسكر أو المدينة الحديثة) في تغيير الإدراك الزمني للشخصيات.

٣. الدعوة إلى إعادة قراءة الرواية العربية الكلاسيكية (روايات الأربعينيات والخمسينيات) في ضوء اللسانيات السردية الحديثة وعدم الاكتفاء بالقراءات والمقاربات المضمونية أو الاجتماعية التقليدية فالشكل البنائي هو الحامل الحقيقي للدلالة الفكرية.

٤. يوصي البحث بعقد دراسات بينية تجمع بين علم النفس الأدبي وتقنيات السرد الروائي لبحث كيف تتحول العقد النفسية (كالحرمان في الطفولة أو النرجسية الشرهة) من مجرد سمات سلوكية إلى محركات زمنية وهندسية تفرض على الراوي اللجوء للاسترجاع أو الاستباق.

المصادر والمراجع

١. ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، دمشق، د.ت.

٢. ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

٣. بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

٤. جنيت، جيرار: خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتصم، وعبد الجليل الأزدي، وعمر حلي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية (ونسخة المجلس الأعلى للثقافة)، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م.

٥. الحمداني، حميد: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م. (وط٣، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م).

٦. زيتوني، لطيف: معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٧. شحاتة، عبد الفتاح أحمد: دور التربية الإسلامية في تعديل بعض السلوكيات الخاطئة في الأسرة، د.ن، د.م، د.ت.

٨. الصغاني، الحسن بن محمد بن الحسن: التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٩م.

٩. عادل، أيمن محمد: كيف تتغلب على القلق والأرق والاكتئاب، مكتبة النافذة، القاهرة، د.ت.

١٠. قاسم، سيزا: بناء الرواية، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٤م. (وينظر لها أيضاً: بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م).

١١. القاضي، محمد (وآخرون): معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٠م.

١٢. مانفريد، يان: علم السرد: مدخل إلى نظرية السرد، ترجمة: أماني أبو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠١١م.

١٣. مبروك، عبد الرحمن: آليات السرد في الرواية العربية المعاصرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٤. محفوظ، نجيب: زقاق المدق (رواية)، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

١٥. مرتاض، عبد الملك: في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨م.

١٦. مندلاو: الزمن والرواية، ترجمة: بكر عباس، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

١٧. يقطين، سعيد: تحليل الخطاب الروائي (الزمن–السرد–التبئير)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م.

١٨. يوسف، آمنة: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار، اللاذقية، ط١، ٢٠٠١م. (وط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٥م).

١٩. يوسف، مها حسن: الزمن في الرواية العربية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤م.

20. Genette, Gérard. Narrative Discourse: An Essay in Method. Trans. Jane E. Lewin. Cornell University Press, 1980

هوامش البحث

(١) سيزا قاسم، بناء الرواية، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٣٨.

(٢) مندلاو، الزمن والرواية، ترجمة: بكر عباس، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ص١٧.

(٣) حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١، ص٧٦.

(٤) سيزا قاسم، بناء الرواية، مصدر سابق، ص٣٨.

(٥) عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨، ص١٧٧.

(٦) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، دمشق، د.ت، ص٢٢.

(٧) الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٩، ج٦، ص٢٤٤.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، مادة (زمن)، دار صادر، بيروت، د.ت.

(٩) مندلاو، الزمن والرواية، مصدر سابق، ص١٦٩.

(١٠)سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن–السرد–التبئير)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٧، ص ٦٣–٦٩.

(١١) آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط٢، ٢٠١٥، ص٣٠.

(١٢) يان مانفريد، علم السرد: مدخل إلى نظرية السرد، ترجمة: أماني أبو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠١١، ص١١٦.

(١٣) محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٠، ص٣٩٩.

(١٤) سعيد يقطين، مصدر سابق، ص ٧٧.

(١٥) ان مانفريد، مصدر سابق، ص ١١٦.

(١٦) جيرار جنيت، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتصم، وعبد الجليل الأزدي، وعمر حلي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ط٢، ١٩٩٧، ص٤٨–٦٠.

(١٧) آمنة يوسف، مصدر سابق، ص ١٠٣.

(١٨) عبد الرحمن مبروك، آليات السرد في الرواية العربية المعاصرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٠، ص١٨٥.

(١٩) جيرار جنيت، مصدر سابق، ص ٦٠.

(٢٠) آمنة يوسف، مصدر سابق، ص ١٠٤.

(٢١) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص١٢١–١٢٢.

(٢٢) حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١، ص٧٨.

(٢٣) نجيب محفوظ، زقاق المدق، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦، ص ٤٢–٤٥. (تحليل مستوحى من نص استرجاع تاريخ الشيخ درويش وعمله السابق بوزارة الأوقاف).

(٢٤) نجيب محفوظ، زقاق المدق، المصدر نفسه، ص ١٠١–١٠٣. (نص استرجاع طفولة زيطة وولادته لأبوين شحاذين).

(٢٥) ينظر في أثر نشأة الطفولة المشوهة روائياً: عبد الفتاح أحمد شحاتة، دور التربية الإسلامية في تعديل بعض السلوكيات الخاطئة في الأسرة، ص ٤١٨.

(٢٦) نجيب محفوظ، زقاق المدق، المصدر نفسه، ص ١٨–٢٢. (نص استرجاع تاريخ المعلم كرشة وأيام فتونته القديمة).

(٢٧) نجيب محفوظ، زقاق المدق، المصدر نفسه، ص ٣٣. (نص استرجاع سيرة رضوان الحسيني وفاجعة فقدانه لأولاده الصغار).

(٢٨) سيزا قاسم، بناء الرواية، مصدر سابق، ص٦٠.

(٢٩) امنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، مصدر سابق، ص١٠٩.

(٣٠) نجيب محفوظ، زقاق المدق، المصدر نفسه، ص ٢١٥–٢١٨. (تذكر عباس الحلو في معسكر التل الكبير ليوم الوداع وتفاصيل وعود حميدة).

(٣١) نجيب محفوظ، زقاق المدق، المصدر نفسه، ص ١٦٠–١٦٣. (استرجاع سليم علوان المريض لصورته القديمة المفعمة بالصحة والجبروت).

(٣٢) نجيب محفوظ، زقاق المدق، المصدر نفسه، ص ٢٧٨–٢٨١. (تذكر حميدة لخطوات هروبها الأولى من الزقاق خلف فرج سرور).

(٣٣) حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٠، ص ٧٣.

(٣٤) مها حسن يوسف، الزمن في الرواية العربية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٢٠٧.

(٣٥) لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ص ١٥.

(٣٦) آمنة يوسف، مصدر سابق، ص ١١٩.

(٣٧) سيزا قاسم، بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٦٥.

(٣٨) سيزا قاسم، بناء الرواية، المصدر نفسه، ص ٧٧.

(٣٩) نجيب محفوظ، مصدر سابق، ص ٧٠. (تحليل مستوحى من نص مونولوجات حميدة واستشرافها الخارجي الطامح للثراء قبل هروبها).

(٤٠) نجيب محفوظ، زقاق المدق، المصدر نفسه، ص ١٦٢. (تحليل مستوحى من حوارات وتوقعات عباس الحلو لمستقبله المالي قبل سفره للتل الكبير).

(٤١) نجيب محفوظ، زقاق المدق، المصدر نفسه، ص ١٣٦–١٣٧. (تحليل مستوحى من هواجس زيطة الكياد وتوقعه الدائم لمصير السجن والقبض عليه).

(٤٢) لطيف زيتوني، مصدر سابق، ص ١٧.

(٤٣) جيرار جنيت، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتصم وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧، ص ٧٩.

(٤٤) نجيب محفوظ، زقاق المدق، المصدر نفسه، ص ٧٩. (توقعات سليم علوان الداخلية لنتائج زواجه المرتقب من حميدة وصراعه مع مرضه).

(٤٥) نجيب محفوظ، زقاق المدق، المصدر نفسه، ص ١١٨. (أمنيات واستباقات عباس الحلو الداخلية وتفكيره في أهل الزقاق وهو في الغربة).

(٤٦) ينظر في التفسير النفسي لهواجس الشخصيات الروائية: أيمن محمد عادل، كيف تتغلب على القلق والأرق والاكتئاب، مكتبة النافذة، القاهرة، د.ت، ص ٥.